



نظراتٌ على البنيويَّة وعلاقتها بنقدِ الموروثِ اللُّغويِّ

م. م. صلاح فرحان شتيوي العنزي

أ.م.د. عماد علوان حسين

جامعة بغداد / كلية العلوم الاسلامية . قسم اللغة العربية



*Views on structuralism and its relationship
to the criticism of the linguistic heritage*

Assis. Teacher Salah Farhan Shtiwiy

Assis. Prof. Dr. Emad Alwan Hussein

dr.emad@cois.uobaghdad.edu.iq

*University of Baghdad / College of Islamic Sciences -
Department of Arabic Language*



المستخلص

يَقُومُ البَحْثُ على تَقْدِيمِ قِراءةٍ لِلْفِكرِ اللُّغَوِيِّ الحَدِيثِ عِنْدَ رُوادِ المَدْرَسَةِ اللُّنْدِيَّةِ الَّتِي أَسَّسَهَا العالَمُ اللُّغَوِيُّ الإِنْجِلِيزِيُّ فِيرْث، وَمَمَّنْ تَتَلَمَّذُوا مُباشرةً على يدِ فِيرْثِ وَهُمْ: إِبْرَاهِيمَ أَنيس، وَتَمَامَ حَسَّان، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ أَيُّوب، وَكَمالِ بيشر، وَمَحْمودِ السَّعْران، فَقَدْ تَمَيَّزَ جِيلُ الرُّوَادِ بِأنه كان مِنْ أبناءِ مَدْرَسَةِ لُغَوِيَّةٍ وَاحِدَةٍ، هِيَ مَدْرَسَةُ لَنْدَن، إِذْ تُخَصِّصُ مُعْظَمَهُمْ فِي عِلْمِ اللُّغَةِ أو أَحَدِ فُرُوعِهِ فِي جَامِعَةِ لَنْدَن، وَبَعْدَ عَوْدَتِهِمْ مِنْ بَعَثَتِهِمْ تَصَدَّوْا لِلتَّدْرِيسِ وَالبَحْثِ اللُّغَوِيِّ فِي الجَامِعَاتِ المِصْرِيَّةِ. وَاخْتَلَفَتْ إِتْجاهاتُهُمْ فِي تَقْدِيمِ عِلْمِ اللُّغَةِ الباحِثِ العَرَبِيِّ إِخْتِلافًا واضِحًا، وَيَمْكِنُ أَنْ نُجْمَلَ هَذِهِ الإِتْجاهاتُ فِي تيارَاتٍ ثَلَاثَةٍ واضِحَةٍ صاحِبَتْ تَقْدِيمَ النُّظْرِيَّةِ اللُّغَوِيَّةِ الحَدِيثَةِ وَهِيَ: البِنْيُويَّةُ وَنَقْدُ المَوروثِ اللُّغَوِيِّ العَرَبِيِّ، ما التَّخْلِيلِ البِنْيُويِّ لِلُّغَةِ؟، وَتَطْبِيقِ النُّظْرِيَّةِ اللُّغَوِيَّةِ الحَدِيثَةِ على اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ. وَسَنَعْرَضُ فِيما يَلِي البِنْيُويَّةَ وَنَقْدَ التُّراثِ اللُّغَوِيِّ العَرَبِيِّ.

الكلمات المفتاحية: النُّحو العَرَبِيُّ، المنطق الأرسطي، المِغيارِيَّة، تَحْدِيدُ الزَّمانِ وَالْمكانِ، مَسْتَوَى الأداء.

Abstract

The research is based on presenting a reading of modern linguistic thought among the pioneers of the London School, which was founded by the English linguist Firth. And of those who studied directly by Firth: Ibrahim Anis, Tammam Hassan, Abdul Rahman Ayoub, Kamal Bishr, and Mahmoud al-Saaran. The generation of pioneers was distinguished by the fact that it was from the children of one linguistic school, it is the London School. Most of them majored in linguistics or one of its branches at the University of London, after their return from the mission, they tackled linguistic teaching and research in Egyptian universities. Their attitudes in presenting linguistics to the Arab researcher differed clearly, we can summarize these trends in three clear currents that accompanied the introduction of modern linguistic theory, namely: Structuralism and criticism of the Arabic linguistic heritage, structural analysis of the language, and the application of modern linguistic theory to the Arabic language. In the following, we will present structuralism and criticism of the Arabic linguistic heritage.

Keywords: Arabic grammar , Aristotelian logic, dominant normative, determining the time and place , the level of performance.

مقدمة

أدرك العرب الرواد أهمية اللغة في الفهم والإفهام، وعلاقتها الوثيقة بفكر الفرد والمجتمع؛ لهذا اهتموا ببيان المشكلات التي تَفُف عائقاً في سبيل استعمال العربية الفصحى بيسر وطلاقة في القراءة، والتعبير الشعري والكتابي، فَبُحِث القدماء العرب كما يرى إبراهيم أنيس لم تسلم من المغالاة حيناً، ولا من الاضطراب حيناً آخر.

لقد كان تمام حسان مُقتنعاً بأنَّ النَّاس في مُعظمهم يشكون داء في النحو العربي لا يستطيعون تشخيصه؛ فإذا أرادوا تشخيص هذا الداء أنصرفوا دون قصد إلى سرد أعراضه؛ فتكلموا في جزئيات النحو، لا في صلب المنهج.

ويرجع تمام حسان سبب ذلك إلى جمود النظرية اللغوية العربية بعد سيبويه، وذلك لإلحاح السائد بأنَّ المتقدمين لم يبقوا للمتأخرين شيئاً يُمكن أن يزيدوا عليه، وقداسة اللغة العربية عند المتأخرين كونها لغة القرآن الكريم، مما أدى إلى قطع صلتها باللهجات العربية الأخرى قديماً وحديثاً، وتحريم الترخيص بالإضافة إلى حصولها، ومنع أي دعوة إلى التجديد في منهج الدراسات اللغوية.

فمنيت الدراسات اللغوية العربية - بحسب رأيه - مدة طويلة بالصعوبة والتعقيد، ومن هنا وجد دارس اللغة العربية نفسه أمام أمشاج من الأفكار غير المتناسبة؛ لكونها أفكاراً من خليط يأتي بعضها من المنطق، وبعضها الآخر من الميتافيزيقا، وبعض ثالث من الأساطير، ورابع من الدين وهلم جرا، لذلك كانت رغبته ملحة إلى تخليص منهج اللغة من هذه العدوى بكتابه (مناهج البحث في اللغة).

ويزعم عبد الرحمن أيوب أن الشكوى من النحو العربي قد بلغت مدى أصبح من غير الممكن أن يتجاهل، وكثير حديث الناس عن الحاجة إلى نحو جديد؛ ويضيف بأنَّ محاولته في مؤلفه (دراسات نقدية في النحو العربي) ليس كما يظن الكثير من أنها إعادة قراءة النظرية اللغوية التقليدية بأسلوب حديث، بل أن هذه المحاولة تمهيد ضروري لثورة عقلية لا بُدَّ من نُصوجها قبل أن يتفتح ذهن الجيل الجديد إلى البحث اللغوي الموضوعي.

ويعتقد محمود السمران أنه يُعالج في كتابه علم اللغة ألعام مشكلات لغوية شائعة وخطيرة، قد لا تأتي إلا بعد تقويم الدراسات اللغوية العربية بأسلوب جديد، وإلا بأن يكون عرض أصول علم اللغة الجديد عرضاً يجمع إلى الدقة والصحة الوضوح والبيان، وإلا بالنص على الفروق بين التصورات المختلفة للغويين.

وَيَرْجِعُ وَهْنٌ وَضَعُ الْمَحَاوَلَاتِ السَّابِقَةِ إِلَى جَهْلٍ مِنْ تَحَدُّثٍ عَنِ التَّيْسِيرِ وَالْإِصْلَاحِ
بِنَتَائِجِ عِلْمِ اللُّغَةِ الْحَدِيثِ؛ لِذَلِكَ كُنَّفَ تَمَامَ حَسَانِ جُهْدِهِ فِي كِتَابِهِ (اللُّغَةُ بَيْنَ الْمُعْيَارِيَّةِ
وَالْوَصْفِيَّةِ) فِي تَشْخِصِ مُوَاطِنِ الدَّاءِ الَّتِي أَصَابَتْ مَنْهَجَ الْبَحْثِ اللُّغَوِيِّ فِي التَّرَاثِ
العَرَبِيِّ، أَمَّا أَنْ يُسَهَّلَ عِلاجُهُ لِلْمُشْتَغَلِينَ فِي هَذَا الْمِيدَانِ.

وَحَاوَلَ إِبراهيمُ أَنيسُ فِي كِتَابِهِ (مِنْ أَسْرَارِ الْعَرَبِيَّةِ) عِلاجَ تِلْكَ الْمَشَاكِلِ اللُّغَوِيَّةِ
عِلاجًا عِلْمِيًّا حَدِيثًا بَعِيدًا عَنِ الْجِدْلِ الْعَقِيمِ، وَمُؤَسَّسًا عَلَى أَحَدِثِ النَّظَرِيَّاتِ الَّتِي إهْتَدَى
إِلَيْهَا الْمُحَدِّثُونَ فِي الدِّرَاسَاتِ اللُّغَوِيَّةِ.

وَيَرَى كَمَالَ بَشَرٍ أَنَّ عُلَمَاءَ الْعَرَبِيَّةِ وَقَعُوا فِي تَجَاوِزَاتٍ مَنْهَجِيَّةٍ لَا يُقْرَهُهَا الْبَحْثُ
الْعِلْمِيُّ، وَأَنَّ الْوَصْفَ الْعِلْمِيَّ فِي الْبَحْثِ اللُّغَوِيِّ الْعَرَبِيِّ لَيْسَ لَهُ نَصِيبٌ مَلْحُوظٌ يُسَوِّغُ
نَعْتِ نَظَرِيَّتِهِمْ بِالْوَصْفِيَّةِ. وَسَوْفَ نُحَاوَلُ فِي الصَّفْحَاتِ التَّالِيَةِ أَنْ نُبْرِزَ الْخُطُوطَ الرَّئِيسَةَ
وَالْأَسْسَ الَّتِي إِنْطَلَقَ مِنْهَا الرُّوَادُ لِتَقْدِ التَّرَاثِ اللُّغَوِيِّ الْعَرَبِيِّ، بِحَسَبِ تَصَوُّرِهِمْ:

أَوَّلًا: النَّحْوُ الْعَرَبِيُّ وَالْمَنْطِقُ الْأَرِسْطِيُّ.

يُورِّخُ إِبراهيمُ أَنيسُ لِلصِّلَةِ بَيْنَ اللُّغَةِ وَالْمَنْطِقِ، بِانْتِهَاءِ أَرِسْطُو مِنْ تَأْسِيسِ
مِنْطَقَةٍ، وَتَرْسِيمِ حُدُودِهِ، وَصَبِّ تَعَالِيمِهِ فِي قَوَالِبِ لُغَوِيَّةٍ، وَصَاغَهَا فِي صُورِ أَلْفَاظٍ
وَأَصْوَاتِ أَلْفَا النِّاسِ فِي أَحَادِيثِهِمْ.

لَقَدْ نَأَلَتْ مُقَارَبَةَ أَرِسْطُو بَيْنَ مِنْطَقَةِ وَاللُّغَةِ الْيُونَانِيَّةِ إِعْجَابَ الْمُفَكِّرِينَ فِي الْأَمَمِ
الْأُخْرَى، وَحَاوَلُوا صَبِّ لُغَاتِهِمْ فِي تِلْكَ الْقَوَالِبِ^(١)، فَمِنْ "سُنَنِ الْمَعْرِفَةِ أَنْ يَنْتَفِعَ اللَّاحِقُ
بِمَا خَلَفَهُ السَّابِقُ مِنْ تَجَارِبِ"^(٢)؛ إِذَا يَدْعُونَا الدُّكْتُورُ إِبراهيمُ أَنيسُ إِلَى أَنْ "لَا نَعْجَبُ
حِينَ نَرَى اللُّغَوِيِّينَ الْقَدَمَاءَ الْعَرَبَ قَدْ سَلَكُوا هَذَا الْمَسْئَلُ مِنَ الرِّبْطِ بَيْنَ اللُّغَةِ وَالْمَنْطِقِ
الْأَرِسْطَطَالِيسِيِّ، وَأَنْ نَشْهَدَ فِي بَحْثِهِمُ اللُّغَوِيَّةِ مِنَ الْأَقْبَسَةِ وَالِاسْتَنْبَاطَاتِ مَا لَا يَمُتُ
لِرُوحِ الْعَرَبِيَّةِ بِصِلَةٍ"^(٣).

وَيَدِلُّ عَلَى عِبْتِيَّةِ الْمَنْطِقِ فِي الدِّرَاسَاتِ اللُّغَوِيَّةِ، بِالصَّوْتِ الْإِنْسَانِيِّ الَّذِي لَا
يَكَادُ يَخْضَعُ لِإِنْطِامِ ذَهْنِيٍّ فِي تَكْوِينِهِ وَإِنْتَاجِهِ وَالتَّفْظُ بِهِ، كَمَا أَنَّ الْمَسْتَوَى الصَّوْتِيَّ ذَلِكَ
الْفَرْعُ مِنَ الْبَحْثِ اللُّغَوِيَّةِ لَا يَكَادُ يَمُتُ لِلْمَنْطِقِ الْعَامِ بِصِلَةٍ^(٤).

وَمَعَ كُلِّ هَذَا وَذَلِكَ يَزْعُمُ إِبراهيمُ أَنيسُ أَنَّ بَعْضَ اللُّغَوِيِّينَ الْعَرَبِ قَدْ بَالِغُوا فِي
نَهْجِ مَنْهَجِ فَلَاسِفَةِ الْيُونَانِ فِي فَهْمِ الصِّلَةِ بَيْنَ الْأَصْوَاتِ وَالْمَدْلُولَاتِ، وَأَغْرَمُوا بِالْحَدْسِ
وَالْتَّخْمِينِ وَالتَّأْوِيلِ مِمَّا طَبَعَ الْعُمُوضُ عَلَى كَلَامِهِمْ، وَغَسَرَ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الدَّارِسِينَ فَهْمُ
أَقْوَالِهِمْ^(٥).

ويركز تمام حسان جهوده ليثبت لنا، أن الدراسات اللغوية العربية القديمة خلّطت بين التفكير اللغوي والتفكير الفلسفي ف"لم يستطع النحاة العرب أن يتخلصوا من قبضة أرسطو السحرية، ولأ من نفوذ منطق القياسي"^(٦)، ويرجع سبب طغيان الفلسفة اليونانية في الفكر العربي إلى الترجمة؛ لأن "العرب لم يترجموا عن أمة كما ترجموا عن اليونانية . . . ومن المعلوم أن أرسطو كان له نصيب الأسد في الكتب المترجمة إلى اللغة العربية وأن منطقة أصبح شهيراً في البلاد الإسلامية في العصر العباسي"^(٧).

ويؤكد أن المعيارية ليست من الدراسات اللغوية؛ وإنما هي من الدراسات الإغريقية المنطقية التي على الرغم من سعتها وعمقها لم تخلق للدراسات اللغوية منهجها الخاص، ولم تفكر في اللغة إلا في ظل المنطق والميتافيزيقيا^(٨)، وحرقت النحو من غايته العلمية المنشودة، فبعدما "كان النحو سهلاً هيناً وصفيّاً فجعله النحاة فلسفة وقضايا معيارية منطقية"^(٩).

وأذكر تمام حسان أن ما يهيم الباحث اللغوي مدى تأثير الفكر والمنطق الأرسطي في منهج الدرس النحوي العربي، وأوضح أن أثر المنطق في النحو العربي يتمثل في جانبين اثنين: أولهما: جانب مقولات أرسطو المنطقية العشر (الجوهر، الكم، الكيف، الزمان، المكان، الإضافة، الوضع، الملك، الفاعلية، القابلية) وتطبيقها في التفكير النحوي العام. وثانيهما: الأقيسة والتعليلات والتفكيرات في المسائل النحوية الخاصة^(١٠). كل هذا الذي كان يراه النحاة من قبل ومن بعد صنعة، يراه تمام حسان تعجرفاً وتهكماً و"بليّة فلسفية ميتافيزيقية ومنطقية أبتلي بها النحو العربي ولا زال يبنتلى"^(١١).

ويرى تمام حسان أن الثقافة اللغوية العربية في أول أمرها اهدت بتجربة السريان، وكان الفكر العربي وفيما لطابعه أنقلي العام، واعتمد نعمة التفكير المنطقي الطبيعي الذي يتطلبه الاجتهاد، ولم يعتد النحاة العرب منطق أرسطو حتى زمن المأمون (ت: ٢١٨ هـ) إذ بدأ الطور الثاني للثقافة العربية، وهو الطور الذي تسربت فيه ثقافة اليونان إلى العرب، وبدأ النحاة العرب يخاطون الفكر اليوناني الذي جاءت به جهود الترجمة^(١٢).

ويؤكد الدكتور أن النحاة العرب سرعان ما عرفوا علل أرسطو الأربع: المادية، والفاعلية، والصورية، والغائية، واستعملوها في التفكير العلمي في مختلف العصور^(١٣).

أما محمود السعمران فكان ممن يؤمنون إيماناً قوياً بتأثر نشأة النحو العربي بمنطق أرسطو من جانبين: أحدهما موضوعي، والآخر منهجي، لكن دون الإفراط والمبالغة في تغليب المنطق الأرسطي على البحث اللغوي^(١٤).

ويرفض مَحْمُود السَّعْرَانُ إقامة الدَّرْسِ اللُّغَوِيِّ على أساس منطقي أو عقلي، "فالمنطق لا يُمكن من تفسير كثير من الظواهر اللغوية، أو هو قد يُفسرها بطريق التَّعَنُّتِ والتَّعَسُّفِ، وسبيل التَّأويل والتَّعقيد، أو قد يُؤدِّي إلى الاستعراق في الجدال في مسائل لا طائل من ورائها، أو من وراء الجدال فيها"^(١٥). فليس هناك ثمة تطابق مطلق ولازم بين العربية والواقع، ويدلّل مَحْمُود السَّعْرَانُ على ذلك، بما في اللغة العربية من كلمات تعامل في المفرد مُعاملة المُذكَر، بينما تعامل جمع هذه الكلمات نفسها مُعاملة المُؤنث: من هذا كلمة (كتاب) التي تُدل على مُذكَر، بينما جمعها (كتب) يُعامل مُعاملة المُؤنث^(١٦).

أما عبد الرحمن أيوب فقد وجّه نقدًا عنيفًا للنحو العربي القديم، وكان أكثر جرأة وقساوة من سابقه في نقده الذي "لا يوف عند حدود نقد التفكير النحوي عند العرب، بل يتعداه إلى الثقافة العربية كلها التي وصفها مع التفكير النحوي بالتقليدية"^(١٧). ويبدأ نقده بكتاب سيبويه زاعماً أن سيبويه قد أخذ أصول هذا العلم من الهنود الذين كانوا يعيشون في البصرة حيث عاش سيبويه نفسه، وأن عمله هذا لا يمكن أن يكون من نتاج البيئة العربية^(١٨)، ويسوق عدداً من الحجج منها^(١٩):

١. لأنه أول كتاب في علوم العربية يصل إلينا، فلا بد أن يكون مُجرّد ملاحظات غير دقيقة وغير كاملة.
٢. قصر الفترة الزمنية بين مرحلة الجدل النحوي ومرحلة التأليف العلمي الواسع، والفترة الزمنية التي تحتاجها نمو الثقافة المحلية لنتج مثل هذا العمل تكون أطول بكثير من الفترة التي تفصل بين أبي عمرو بن العلاء مثلاً وسيبويه.
٣. إن المنهج العلمي الذي تميّز به كتاب سيبويه لا يمكن أن تكون أسسه قد ظهرت فجأة وبلا مقدمات.

ويذهب إلى أن النحاة العرب في مرحلة ما بعد سيبويه قد تأثروا بالإغريق في التأسيس للنحو العربي، مُستندين إلى مناهج كتبهم التي يبدو فيها أثر التفكير الإغريقي واضحاً، فقسّموا الكلام إلى أسماء تُدل على ذوات، وأفعال تُدل على أحداث، وحروف تُدل على علاقات^(٢٠)، وهو برأيه نفس الاعتبار الذي قام عليه تقسيم أفلاطون، فقد قسّم أفلاطون الكلمات على أساس دلالتها على هذه الموجودات يعني الأحداث والذوات^(٢١).

ومن الآثار أيضاً أن النحاة العرب اتخذوا الدلالة أساساً لحدّ الكلمة وتعريفها. فالاسم على سبيل المثال عرفه الرّمخسري (٥٨٣ هـ) بأنه "ما دلّ على معنى في نفسه، دلالة مُجرّدة عن الاقتران"^(٢٢)، وقد عرف أرسطو الاسم من قبل بأنه صوت "يُدل على ذات"^(٢٣). وهو هنا يرفض المعيار الدلالي المنطقي للتقسيم، كما رفض مُشايغيه من الرواد - كما بيّننا في الفصل السابق - التقسيم الذي لم يعتمد الشكل والمادة.

والواقع يُظهر أن النحاة العرب الأوائل لم يزد في مُصنَّفاتهم حدَّ أرسطو للاسم، حتَّى القرن السَّادس الهجري عند الزمخشري (ت: ٥٣٨ هـ)، بل تناولوا الاسم في منهج وصفي على أساس الاستعمال اللغوي^(٢٤).

ويرى عبد الرحمن أيوب من آثار المنطق الأرسطي في الدرس اللغوي عند العرب هو تقسيم الجملة إلى: جملة اسمية، وجملة فعلية. "وهو تقسيم مشابه لتقسيم الجملة اللاتينية"^(٢٥). فالمسند والمسند إليه عند العرب "منقولان عن اصطلاحين من اصطلاحات أرسطو المنطقيّة هما باللاتينية، Praedicatum و Subjectum، وقد استعمل أرسطو نفس هذين الاصطلاحين في حديثه عن اللغة، وهذا أمر له دلالاته"^(٢٦).

والواقع الذي يراه عبده الراجحي ويتابعه حلمي خليل، أن أرسطو لم يستعمل هذين المصطلحين، وإنما حدَّ الجملة على أنها قسم من أقسام الكلام، له معنى ولبعض أجزائها معنى مستقل باعتبارها لفظاً، وإن كان لا يعبر عن حكم. وهذا التعريف يميّز الجملة من الكلمة؛ لأنَّ جزء الكلمة لا يدل على معناها^(٢٧).

وحين يعرض عبد الرحمن أيوب موقفه الناقد لأبواب النحو العربي، يتغافل عن قضايا المنهج الكبرى ويتوقّف عند جزئيات حواشي النظرية الأوروبية التي ركزت وجهتها في أن النحو الأوروبي التقليديّ يصدر عن الفلسفة وعن المنطق الأرسطيّ، ويجعل المعنى أساس التحليل.

وفيما يتعلّق في رفضه التقسيم الثلاثي للكلم الذي اعتمده النحاة العرب متأثرين بنظرية أفلاطون للموجودات. يُقر تمام حسان أن تقسيم المحدثين للكلام لا يتنافى مع أقسام الكلم التي قررها القدماء، فهي تفصيلاً لما كان مجملاً؛ إذ ما يزال الاسم أحد أقسام الكلم، وكذلك الفعل، وما زالت الحروف كلّها واقعة تحت عنوان الأداة. ولكن الفارق المهم بين التقسيمين أن النظرة الحديثة كشفت عن عموم في مفهوم الاسم لدى النحاة، شمل أقسام أخرى، كالصفات والضمائر والظروف، وأن مفهوم الفعل قد اتسع لديهم أيضاً حتّى شمل بعض الخوالب والنواسخ، وأن مفهوم الأداة في الفهم الحديث يشمل الحروف والنواسخ ما فهمها النحاة^(٢٨).

ويؤكد كمال بشر أن الاتجاهات الفلسفية والمنطقيّة تبدو واضحة في كثير من مشكلات النحو العربي، ومن أهمّها مشكلة العامل وما تفرّع عنها من قضايا فرعية لا حصر لها، كمسائل الحذف والاستتار والتنازع والاشتغال، والالتجاء إلى التأويل والافتراض والتقدير في علل البناء والإعراب وفي توجيهات الإعراب^(٢٩)، "فهذه كلّها مسائل ما كانت تُثار بهذه الصورة المعروفة بها في النحو العربي لولا هذا الاتجاه الفلسفيّ البعيد عن روح اللغة"^(٣٠).

وَمِمَّا تَقَدَّمَ نَصِلُ إِلَى أَنَّ الْمَنْطِقَ الْأَرِسْطِيَّ لَمْ يَكُنْ مَعْرُوفًا مَعْرِفَةً كَافِيَةً أَيَّامَ الْخَلِيلِ وَسَبِيوِيهِ وَهَمَّا صَاحِبًا لِلتَّأثيرِ الْحَقِيقِيِّ فِي النَّحْوِ الْعَرَبِيِّ، وَاعْتَمَدُوا نِعْمَةَ التَّفْكيرِ الْمُنْطِقِيِّ الطَّبِيعِيِّ الَّذِي يَتَطَلَّبُهُ الْاجْتِهَادُ.

وَضَهَرَ تَأثيرُ الْمَنْطِقِ الْأَرِسْطِيَّ فِي الْقُرُونِ الثَّلَاثِ الْهَجْرِيَّةِ وَمَا بَعْدَهُ، فِي التَّصْنِيفِ وَالتَّعْرِيفِ وَالِاصْطِلَاحِ، وَلَيْسَ مِنَ الْمُنْطِقِيِّ أَنْ يَتَأَثَّرَ النَّحْوُ تَأَثُّرًا أَمَلًا بِمَنْهَجِ أَرِسْطُو فِي الْمَنْطِقِ لِاخْتِلافِ الْغَايَةِ فِي كُلِّ مِنْهُمَا. بِالْإِضَافَةِ إِلَى أَنَّ وُجُودَ الْأَثَرِ الْمُنْطِقِيِّ فِي النَّحْوِ الْعَرَبِيِّ دَلِيلٌ عَلَى مَكَانَةِ الْعَقْلِ الْعَرَبِيِّ فِي هَذَا النَّحْوِ، وَهُوَ جَانِبٌ كَانَ مَوْجُودًا مَعَ الْجَانِبِ النِّفْلِيِّ فِي الْمُنَاحِ الْعَامِ الَّذِي كَانَ يَسُودُ الْبِيئَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ وَفَتَ نَشَأَةُ هَذِهِ الْعُلُومِ وَازْدَهَارُهَا (٣١).

وَالْإِطَارُ الْعَامُ الَّذِي تَبَنَاهُ الْعَرَبُ الرُّوَادُ لِنَقْدِ مَنْهَجِ النَّظَرِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ الْقَدِيمَةِ، تُمَثِّلُ فِي أَنَّ النَّحْوَ الْعَرَبِيَّ التَّقْلِيدِيَّ وَلِيدَ الْفَلْسَفَةِ وَالْمَنْطِقِ الْأَرِسْطِيَّ، وَيَجْعَلُ الْمَعْنَى أَسَاسَ التَّحْلِيلِ، وَجَمُودَ النَّظَرِيَّةِ اللُّغَوِيَّةِ بَعْدَ سَبِيوِيهِ وَهَيْمَنْتِهَا عَلَى الدِّرَاسَاتِ اللُّغَوِيَّةِ خِلَالَ عُسُورِ طَوِيلَةٍ.

وَمِنْ هُنَا بَنَى الْوَصْفِيُّونَ نَفْدَهُمَ لِلنَّحْوِ الْعَرَبِيِّ عَلَى فِكْرَةٍ تَأَثَّرَ بِالْمَنْطِقِ الْأَرِسْطِيَّ، وَهُوَ مَنْطِقُ مَرْفُوضِ دَخِيلٍ عَلَى الدِّرَاسَةِ اللُّغَوِيَّةِ؛ لِأَنَّهُ - بِحَسَبِ رَأْيِهِمْ - تَطْفُلُ خَارِجِيٌّ يُؤَدِّي إِلَى الْاضْطِرَابِ وَالْجَدَلِ الذَّهْنِيِّ، فَلَا فَايْدَةَ فِيهِ وَلَا نَفْعَ مِنْهُ فِي تِلْكَ الدِّرَاسَةِ.

وَدَعُوا إِلَى اعْتِمَادِ مَنْطِقِ الْلُغَةِ فِي دِرَاسَةِ الْلُغَةِ، وَالْمَقْصُودُ بِمَنْطِقِ الْلُغَةِ التَّفْكيرِ الْمُنْظَمِ فِي تَنَاوُلِ مَظَاهِرِهَا وَعُنَاصِرِهَا، وَتَقْسِيمِ فَصَائِلِهَا وَأَنْوَاعِهَا؛ لِأَنَّهُ وَسِيلَةٌ لُغَوِيَّةٌ أَصِيلَةٌ، هَدَفُهُ التَّوْضِيحُ وَالْإِبَانَةُ، وَهُوَ مُفِيدٌ وَنَافِعٌ فِي دِرَاسَةِ الْلُغَةِ (٣٢).

وَلَسْنَا هُنَا فِي صَدَدِ إِثْبَاتِ اسْتِقْلَالِيَّةِ الْفِكْرِ اللُّغَوِيِّ الْعَرَبِيِّ الْقَدِيمِ مِنْ شَوَائِبِ الْمَنْطِقِ الْأَرِسْطِيَّ، فَقَدْ تَصَدَّتْ لِهَذَا الْإِتْجَاهِ دِرَاسَاتٌ كَثِيرَةٌ لَا تَخْفَى عَلَى أَحَدٍ، وَالْهَدَفُ الْأَسَاسُ الْمُرَادُ مِنْ هَذِهِ الدِّرَاسَةِ هُوَ عَرْضُ إِتْجَاهَاتِ الْعَرَبِ الرُّوَادِ فِي حَقْلِ الدِّرَاسَاتِ اللِّسَانِيَّةِ الْمَعَاصِرَةِ، وَمَوَاقِفِهِمْ مِنَ التُّرَاثِ اللُّغَوِيِّ الْعَرَبِيِّ.

ثَانِيًا: النَّحْوُ الْعَرَبِيُّ وَالْمَعْيَارِيَّةُ الطَّاعِيَّةُ.

مِنَ الْقَضَايَا الَّتِي تَرَسَخَتْ فِي الْفِكْرِ اللُّغَوِيِّ الْعَرَبِيِّ الْحَدِيثِ، وَأَنْطَلَقَ مِنْهَا الْعَرَبُ الرُّوَادُ وَغَيْرِهِمْ فِي نَقْدِهِمْ لِمَنْهَجِ الدَّرْسِ اللُّغَوِيِّ عِنْدَ الْعَرَبِ، وَالذَّعْوَةُ لِتَبْنِيِّ مَنْهَجٍ جَدِيدٍ قَائِمٍ عَلَى الْوَصْفِ، هِيَ طُعْيَانُ الْمَنْهَجِ الْمَعْيَارِيِّ فِي النَّحْوِ الْعَرَبِيِّ، الَّذِي تَجَاهَلُوا بِهِ اللُّغَاتِ الْحَيَّةِ الْمَسْتَعْمَلَةَ فِي الْوَاقِعِ الْيَوْمِيِّ، وَنَظَرُوا إِلَى الْلُغَةِ إِنْطِلَاقًا مِنْ نَمُودَجِ لُغَوِيٍّ مُحَدَّدٍ سَلْفًا تَحْكُمُهُ قَوَائِينُ (٣٣)، "مَبْنِيَّةٌ عَلَى أَسَاسِ فِكْرَةٍ تَقْلِيدِيَّةٍ مَشْهُورَةٍ تُمَثِّلُهَا الْعِبَارَةُ الْآتِيَّةُ: الْلُغَةُ هِيَ مَا يَجِبُ أَنْ يَتَكَلَّمَهُ النَّاسُ بِالْفِعْلِ" (٣٤).

والمنهج المعياري عند كمال بشر من آثار المنطق اليوناني الذي سار عليه التقليديون من واضعي قواعد اللغات الكبرى منذ بدأ الدراسات اللغوية عند اليونان حتى يومنا هذا^(٣٥). ويقوم هذا المنهج على جملة من الأسس أهمها^(٣٦):

١. ينأى المنهج المعياري عن وصف اللغة المستعملة فعلاً ويعتمد إلى اختراع الأمثلة اللغوية؛ لاستنتاج ضوابط لغوية محددة.
٢. لا يتقيد المنهج المعياري بانتقاء الزمان والمكان اللذين عني بهما المنهج الوصفي.
٣. يقوم المنهج المعياري على فرض القاعدة، أي يبدأ بالكليات وينتهي إلى الجزئيات.
٤. غياب الموضوعية، واللجوء إلى التقدير والتأويل والفرضيات التي لا تتفق مع الوصف الطبيعي للغة.
٥. يركز المنهج المعياري على اللغة المكتوبة، ويهمل اللغة المنطوقة.
٦. الخلط في مستويات التحليل اللغوي، إذ تعيب العناية بتخصيص علم خاص يهتم بالصوت، وآخر يهتم بالصرّف، وثالث يهتم بالنحو.
٧. ركز المنهج المعياري اهتمامه على المعنى، والاعتماد عليه وحده في تصنيف الوحدات اللغوية.
٨. اتخذ المنهج المعياري من القياس الأرسطي والمقولات المنطقية والفلسفية منهجاً في دراسة اللغة.

ويرجع تمام حسان سبب تغلب المنهج المعياري إلى أن النحاة العرب لم يقفوا عند حد المنطق الفطري الطبيعي في التعليل، بل تعدوه إلى "علل أرسطو الأربعة: المادية، والفاعلية، والصورية، والغائية"^(٣٧)، وأعلنتان الأخيرتان استعملهما النحاة في التحليل والتأصيل النحوي كما يرى الدكتور^(٣٨).

ومن الأسباب أيضاً الغاية التي نشأ النحو العربي من أجلها، وهي ضبط اللغة وإيجاد الأداة التي تعصم اللسان من الخطأ واللحن، جعلت هذا النحو في عمومه نحواً معيارياً لا نحواً وصفيّاً، ويدل على مظاهر المنهج المعياري في الدرس اللغوي القديم، بقول ابن مالك في ألفيته (ت: ٦٧٢ هـ)^(٣٩) :

والرّفْع في غيرِ الَّذِي مرَّ رَجَح . . . فما أُبِيحِ إفْعَلِ ودَعِ مَا لم يَبُحِ

ويورّخ الدكتور ظهور هذا الاتجاه في النحو العربي عند عبد الله ابن أبي إسحاق الحضرمي (ت: ١١٧ هـ)^(٤٠) الذي تصدّى للفصحاء العرب من أمثال الفرزدق، أي يخطأ الفصحاء منهم إذا خالفوا قواعد النحاة، ومن ثم هذا الطابق قوي فيما بعد عندما انتهى عصر الاستشهاد وعجز النحاة عن ترديد عبارة: (العرب تقول كذا) أي يخطأ الفصحاء منهم إذا خالفوا قواعد النحاة.

وَلَقَدْ تَعَلَّقَتْ الْإِبَاحَةُ وَعَدَمُهَا بِقَوَاعِدٍ مَعْيَارِيَّةٍ تَفْرُضُ نَفْسَهَا عَلَى الْإِسْتِعْمَالِ وَعَلَى الْمَسْمُوعِ، ثُمَّ انْتَزَمُوا هَذِهِ الْقَوَاعِدَ وَالْأَصُولَ لَا يَتَعَدُّونَهَا وَلَا يَسْمَحُونَ لِغَيْرِهِمْ أَنْ يَتَجَاوَزَهَا فِي شِعْرٍ أَوْ نَثْرٍ، وَمِنْ تَعَدَّاهَا حَطَّوْهُ، وَثَارُوا عَلَيْهِ، مِنْ ذَلِكَ مَا رَأَوْهُ انْحِرَافًا فِي قَوْلِ النَّابِغَةِ الذَّبْيَانِي (٤١):

فَبِتَّ كَأَنِّي سَاوَرْتَنِي ضَيْبِيَّةٌ مِنَ الرَّفْشِ فِي أَنْبَابِهَا السُّمُّ نَاقِعٌ

فَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ النَّابِغَةُ: (السُّمُّ نَاقِعًا) أَوْ (السُّمُّ النَّاقِعُ)، عَلَى أَسَاسِ مَا قَرَّرَهُ النُّحَاةُ مِنْ وَجُوبِ التَّبَعِيَّةِ بَيْنَ النَّعْتِ وَالْمَنْعُوتِ (٤٢).

ويزفص المنهج اللغوي الحديث أي موقف معياري ينطلق من الخطأ والصواب في الاستعمال، حتى أن معظم من يشكون الداء في النحو العربي إذا أرادوا تشخيص هذا الداء، فأساسه في نظر تمام حسّان "هو تغلب المعيارية في منهج حقه أن يعتمد على الوصف ولا وأخيراً" (٤٣).

وزعم كمال بشر أن المنهج المعيارى الذي قامت عليه الدراسات اللغوية العربية منذ يومها الأول حتى يومنا هذا، هو منهج تعليمي لا علمي يقوم "بتوجيه عناية الناس إلى ما يجب إتباعه في قواعد اللغة، وبالحكم بالخطأ على كل مخالفة ما يلقى إليهم من قواعد وقوانين" (٤٤). بسبب تركيز بحثهم وعنايتهم بما ينبغى أن يقال تاركين ما يقال فعلاً.

لذلك نجد تمام حسّان يفرق بين المستوى الصوابى الاجتماعى الذي يمثله المتكلمون وكان واضحاً عند سببويه ومشايخه، والمستوى الصوابى الدراسى التعليمى الذي يمثله النحاة بعد انتهاء عصر الاحتجاج في القرن الثاني الهجرى (٤٥). يقول تمام حسّان: "تحول النحو العربى من طابعه العلمى الذى يقوم على البحث ورصد النتائج إلى الطابع التعليمى الذى يسعى إلى جعل الأمة الإسلامية أمة متجانسة من الناحية اللغوية" (٤٦).

ويعترف الدكتور بالمستوى الصوابى الأول وينكر الثانى (٤٧)؛ لأن النحاة في منظوره "قالوا قولاً، ورعوا قياساً ومعايير، ثم حاولوا أن يفرضوا هذا القول وتلك المعايير فرضاً منطقياً على كلام مدار القياس فيه السليقة التى تراعى مستوى صوابيا اجتماعياً يحس بأصول الصياغة ولا يستطيع التعبير عنها" (٤٨).

والمنهج اللغوي الحديث كما قرره رائده سوسير وتابعه محمود السعران يدرس اللغة في ذاتها من حيث هي لغة كما تظهر، دراسة موضوعية تستهدف الكشف عن حقيقتها بأن يصفها ويحللها بطريقة موضوعية، فليس للباحث فيها أن يغير من طبيعتها، كما ليس له أن يقتصر في بحثه على جوانب من اللغة مستحسناً إياها، وينجى جوانب أخرى استهجاناً لها، أو لأي سبب كان، "فليس من موضوع دراسته أن يحقق أغراضاً

تربوية مثلا ، أو آية عملية أخرى إنّه لا يدرسها هادفاً إلى ترقيتها، أو إلى تصحيح جوانب منها أو تعديل آخر" (٤٩).

والبنيوية تقف على طرف نقيض من المعيارية، فالبحث اللغوي كما يرى عبد الرحمن أيوب: إمّا أن يكون بحثاً وصفيّاً تقيريّاً، وإمّا أن يكون بحثاً معيارياً وغائباً، لا يدخل "إلى قاعدته من مادته، بل إنّه يبني القاعدة على أساس من اعتبارات عقلية أخرى، ثمّ يعمد إلى المادة فيفرض عليها القاعدة التي يقول بها. وهذا النوع من التفكير . لا يمكن أن يوصف بأنه تفكير علمي بالمعنى الحديث" (٥٠)؛ لأنه من وجهة نظر كمال بشر قد شابته بعض الشوائب التي عقدت مسالكه، وأبعدته من الوصول إلى أهدافه في سهولة ويسر. (٥١)

وهكذا يتضح لنا مدى ارتباط المتن اللغوي أو المستوى الصوابي بالجانب الاجتماعي، وأن الاحتكام إلى العرف الاجتماعي يُعطينا من كثير من التناقض والاضطراب، ويصلح أن يكون معياراً سليماً لقياس المستوى الصوابي، كما أن إغفال الجانب الاجتماعي "يحرّم الدراسة من أقوى خصائص هذا الموضوع المدرّس، ويجعل الوصف في هذا المنهج الوصفي يتناول وجهها شكلياً من المسألة، ويهمل وجهها الآخر الذي يمثّل جوهرها وروحها". (٥٢)

والأصلح عند البنيويين تجريد الدرس اللغوي من المنطق والمعيار والنزعة التعليمية، وتحديد مستوى الأداء المحكوم بالعرف الاجتماعي وهو الاستعمال الحقيقي للغة؛ لأنّ "العرف هو الذي يحدّد المعايير الاجتماعية، ثمّ هو الذي يحدّد معايير اللغة" على اعتبار أن "اللغة أداة اجتماعية يوجد لها المجتمع" (٥٣)؛ لذلك عمدوا إلى التفرقة بين طابع عمل المتكلم وبين وطابع عمل الباحث اللساني إزاء اللسان، فكلّ منهما طريقته الخاصة في التعامل مع المادة اللغوية التي يتضمّنّها اللسان. فالاستعمال اللغوي وظيفته المتكلم، والبحث اللغوي وظيفته الباحث، والاستعمال تطبق لأسس معينة غير واضحة عند المتكلم، والبحث تفتيش عن هذه الأسس حتّى تكون واضحة عند الدارس، واللغة بالنسبة للمتكلّم ميدان حركة يحسنها بالقياس على معاييرها، وبالنسبة للباحث موضوع دراسة تعتمد على وصف نماذجها. (٥٤)

ونرى من الأصلح الجمع بين الاثنين بمعنى: أن منهج البحث في علم اللغة العربي وصفي وتقيريّ أولاً، وغائي معياريّ ثانياً، ومن ثمّ ينفّي هذا التناقض، فالمعيارية صفة مكّملة للوصفية، وليست نقيضاً لها؛ لأنّ "دعاة الوصفية لم يفتنوا إلى موقعين مختلفين لا تناقض بينهما هما الوصفية من ناحية، والمعيارية من ناحية أخرى، فالوصفية لا تعني بالضرورة الهجوم على المعيارية ورفضها" (٥٥)، "وإنما هي نقيض للتأمل الفلسفيّ العقيم، بدليل أن المعيارية قد تجتمع مع ضديدها وتقرن به على نحو ما أقرنت به في الحضارة الهنديّة" (٥٦).

ثالثاً: تحديد الزمان والمكان ومستوى الأداء.

من أهمّ المآخذ التي سجّلها دُعاة المنهج البنيويّ على الدّراسات التّفقيديّة القديمة يستند بالأساس إلى قاعدة الانتقاء الزمانيّ، فأنكروا المنهج الذي اعتمده النّحاة الأوائل من شمول دراستهم لمرّاحل متعاقبة من تاريخ اللّغة العربيّة تبدأ من نحو مائة وخمسين عامًا قبل الإسلام، وتنتهي بإنهاء ما يُسمونه عصر الاحتجاج (١٥٠ هـ)، فيشملون ما يقرب من ثلاثة قُرُونٍ من تاريخ اللّغة، فلا يفرّقون بين شعْر امرئ القيس وشعْر إبراهيم بن هرمة. وتلك حِقْبة لا يُمكن أن تظَلَّ اللّغة فيها ثابتة على حالها، وإنّما تطوّرت فيها من نواحي البنية والنّطق^(٥٧).

ويذهب كمال بشر إلى أنّ النّحاة العرب تجاهلوا عامل الزّمن " فلم يعترفوا على ما يبدو بأنّ اللّغة ظاهرة اجتماعيّة قابلة للتّطور على مرّ الأيام"^(٥٨)، ويعتقد بأنّ هذا المنهج الذي نهجوه غير دقيق فاللّغة، إذ لم يُحاولوا الاستفادة من ماضي اللّغة، أيّ قبل عصر الاحتجاج أو النّظر في اللّغة على فترات التّاريخ المتعاقبة.

إنّ تحديد فترة الاحتجاج التي فرضها علماء اللّغة مشكلة، تتناهى وطبيعة اللّغة وقانونها التّطوريّ، ويعدّ افتراضًا ناقصًا وغير دقيق من منظر الدّكتور كمال بشر؛ حيث إنّ إقصاء عامل الزّمن من الدّرس اللّغويّ يُؤدّي إلى إغلاق باب البحث العلميّ في وجه التّطور الذي لحق باللّغة في جميع مُستوياتها^(٥٩).

واللّغة - عند تمام حسّان - ليست قانونًا لمجموعة من القواعد، وإنّما هي موضوع من موضوعات الوصف كالنّشريح، وهدف الباحث هو الوصف عن طريق المنهج الصّالح، والاستعمال الصّحيح الذي لا بدّ أن يعترف بأنّ اللّغة ظاهرة اجتماعيّة، فيجب أن تدرّس دراسة علميّة وصفيّة^(٦٠)، " وأنّ الدّراسة الوصفيّة لتختار مرّحلة بعينها، من لغة بعينها، لتصفها وصفًا استقرائيًّا"^(٦١)، والمنهج الوصفيّ يرفض تناول اللّغة في طورين من أطوارها؛ لأنّ تحوّل النّظام من صورة إلى صورة يجعله نظامين لا نظامًا واحدًا^(٦٢).

ولما كانت وظيفة عالم اللّغة هي في المرتبة الأولى الوصف فإنّهم ينظرون إلى اللّغة على أنّها لغة السّاعة التي يصفونها بها أو على أنّها لغة القرن الرابع أو الخامس أو التاسع عشر، وهذا الوصف الدقيق للغة في نقطة مُعيّنة من الزّمان والمكان هو العلم ذاته^(٦٣)؛ وذلك لأنّ علم اللّغة، " علم ساكن فيه توصف اللّغة بوجه عامّ على الصّورة التي تُوجد عليها في نقطة زمنيّة مُعيّنة"^(٦٤).

إذا الحقيقة التي لا يُمكن إنكارها أنّ اللّغة تتغيّر وتتطور بمرور الزّمن، " وتتجلّى اللّغة حين نلاحظها ملاحظة أنيّة في هيئة نظام منسوق يعيش في الوعي اللّغويّ لمجتمع

بعينه^(٦٥). ويعتقد اللسانيون العرب الرواد أن "بهذه النظرة الصائبة نُصحَ النظر إلى مزايا لغتنا، وتصويب أخطاء بعض الدارسين وقد يكون من هؤلاء أبناء لها يظلمونها ولا يسيئون النية، ولكنهم يسيئون القياس، أو يعتمدون في المقارنة بينها، وبين سائر اللغات على غير أدواتها"^(٦٦).

إن اختلاف المكان يُنشئ أنواعاً من التغيير اللغوي كما هو الحال باختلاف الزمان. وصار من المعلوم أن اللغويين العرب جمعوا المادة اللغوية بالاستقراء من كلام البدو الذين فطنوا للغة العربية، وقامت حركة التأليف من المعاجم العربية على أساس المادة التي جمعها اللغويون في البداية في القرن الثاني الهجري، وكانت غايتهم تسجيل اللغة الفصحى واستبعاد الصيغ والألفاظ غير الفصحى.

وبهذا المعيار ركز اللغويون عملهم على لغة بعض قبائل العرب (البدو) وهي قبائل: (قيس، وتميم، وأسد، وكنانة، وهذيل، وطيء) ورفضوا بقية اللهجات فشغلتهم قضية الفصاحة عن باقي القضايا^(٦٧)، لهذا أنكروا الوصفين المحدثين "على البحث اللغوي العربي عدم التزامه يوحد المكان في استقراء الأصول من المادة اللغوية المجموعة"^(٦٨)، ثم إن هذه اللهجات كلها درست ضمن منهج واحد على مدار ثلاثة قرون، وهذا ما أدى بهم للوقوع في مخالفات منهجية كما يزعّم تمام حسّان وكمال بشر، منها الخلط بين لهجات مختلفة بغية إيجاد نحو عام لها جميعاً، وينتج من ذلك الحصول على مجموعة من القواعد والضوابط المضطربة المتخالفة، ومتباينة ومتناقضة أحياناً^(٦٩).

كما أن "انتهاء عصر الفصاحة حرم الدراسات العربية من المادة الجديدة"^(٧٠)، كون اللغة تتغير وتتطور بمرور الزمن، وبحسب البيئة، وتتحدد النفس بحسب الطبيعة، وترتب على ذلك إهمال الكثير من اللهجات في كتب النحو واللغة والأدب والتاريخ كما قال إبراهيم أنيس: "ولست أعرف بين علماء العربية على كثرتهم، وكثرة ما كتبوه في كل فرع من فروع اللغة، من غني باللهجات فأفرد لها مؤلفاً مستقلاً يجمع شتاتها، ويشرح غامضها، وإنما هي روايات متناثرة نجدّها في بطون كتب الأدب واللغة والتاريخ"^(٧١)، ممّا كان - في رأي إبراهيم أنيس - سيغود على العربية بإفادة كبيرة لتفسير أمورها والغامض من أسرارها، إذ "لا تزال بعض نواحي هذه اللهجات العربية يكتنفها الظلام والغموض"^(٧٢).

ومن المآخذ أن النحاة المتقدمين لم يتناولوا اللغة على أنها بناء متكامل، ذو جوانب وأركان مُرتبط بعضها ببعض إرتباطاً وثيقاً، فعزلوا المستويات اللغوية (الصوت، والصرف، والنحو، والدلالة) بعضها عن بعض، ودرسوا كل مستوى من هذه المستويات كما لو كان كل مستوى مستقلاً بنفسه، وليس لبنة أو ركناً مهماً في التركيب اللغوي^(٧٣).

وَسَبَبَ ذَلِكَ عِنْدَ اللِّسَانِيِّينَ الْعَرَبِ الرُّوَادَ أَنَّ السَّلْفَ مِنَ النُّحَاةِ الْعَرَبِ، لَمْ يُدْرِكُوا تَمَامَ الإِدْرَاكِ مَدَى الْعِلَاقَةِ الْعَضْوِيَّةِ الَّتِي تَرْتَبُطُ بَيْنَ فُرُوعِ الدِّرَاسَاتِ اللُّغَوِيَّةِ فِي عُمُومِهَا، فَنظَرُوا إِلَى هَذِهِ الْفُرُوعِ أَوْ الْمُسْتَوِيَّاتِ كَمَا لَوْ كَانَتْ مُنْفَصِلَةً وَمُسْتَقْلَةً^(٧٤)، وَعَلَّةَ ذَلِكَ عِنْدَ تَمَامِ حَسَانٍ، أَنَّهُمْ بَدَأُوا مُلَاحَظَاتِهِمُ النَّحْوِيَّةَ عَلَى الَّلِّغَةِ الْمَكْتُوبَةِ لَا الْمَنْطُوقَةِ^(٧٥)، وَلِهَذَا "تَجِدُ فِي كِتَابِ سَبَبِيَّوَيْهِ دِرَاسَةً كَامِلَةً لِأَصْنَواتِ الْعَرَبِيَّةِ، وَلَكِنْ الدِّرَاسَةُ كَانَتْ مُلِحِّقَةً بِالنَّحْوِ لَا مُمَهَّدَةً لَهُ وَلَا مُعَيَّنَةً عَلَيْهِ فَهَمَّهُ كَمَا يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تَكُونَ"^(٧٦).

فِي حِينِ يَرَى كَمَالَ بَشَرٍ أَنَّ الْمُسْتَوَى الصَّوْتِيَّ لَمْ يُعْطَ حَقَّهُ مِنَ الدِّرَاسَةِ، بِأَنْ يُخَصِّصَ لَهُ دِرَاسَةٌ مُسْتَقْلَةٌ خَالِصَةٌ، كَمَا أَنَّ سَبَبِيَّوَيْهِ تَتَنَاوَلُ أَهَمَّ الْقَضَايَا الصَّوْتِيَّةَ تَحْتَ بَابِ الإِدْغَامِ، وَالِإِدْغَامِ بَابِ غَامِضٍ يَضُمُّ ظَاهِرَةَ صَرْفِيَّةٍ وَصَوْتِيَّةٍ مَعًا، وَقَدْ عُولِجَتْ عِلَاجًا مُضْطَرِّبًا وَغَيْرَ دَقِيقٍ، ثُمَّ يُضِيفُ كَمَالَ بَشَرٍ أَنَّ دِرَاسَةَ سَبَبِيَّوَيْهِ الصَّوْتِيَّةَ^(٧٧)، "بَدَتْ كَمَا لَوْ كَانَتْ شَيْئًا إِضَافِيًّا أَوْ تُدْبِيلًا لِجَمَلَةٍ أَعْمَالِهِ . . . حَيْثُ وَقَعَتْ بِحُوثِهِ الصَّوْتِيَّةِ فِي أَوَاخِرِ الْجُزْءِ الْآخِرِ مِنْ أَثَرِهِ الْخَالِدِ الْمَعْرُوفِ بِالْكِتَابِ"^(٧٨).

وَيُؤَكِّدُ عَلَى عَدَمِ الْفَصْلِ بَيْنَ مُسْتَوِيَّاتِ الدَّرْسِ اللُّغَوِيِّ فَصْلًا يُبْنِي عَنْ اسْتِقْلَالِ أَيِّ وَاحِدٍ مِنْهَا هُنَّ الْآخَرِ، وَيَنْبَغِي إِعْتِمَادُ كُلِّ مُسْتَوَى عَلَى الْآخَرِ وَحْتِمِيَّةِ الْإِلْتِجَاءِ إِلَى نَتَائِجِهِ وَخِلَاصَةِ بُحُوثِهِ لِإِسْتِنْفَادِ مِنْهَا فِي مُعَالَجَةِ قَضَايَا الْفُرُوعِ الْآخَرَى وَتَوْضُحِهَا. فَعَلِمَ الصَّرْفُ مِثْلًا: لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَسْتَقِلَّ هُنَّ النَّحْوُ، وَعَلِمَ النَّحْوُ فِي أَشَدِّ الْحَاجَةِ إِلَى مَا يُقَرِّرُهُ الْأَوَّلُ وَيَسْجِلُهُ مِنْ حَقَائِقِ^(٧٩).

بَعْدَ مَوْجَةٍ مِنَ النَّقْدِ وَالتَّحْلِيلِ يَسْتَدْرِكُ تَمَامَ حَسَانٍ وَيَقُولُ: "وَلَا يَنْبَغِي مُطْلَقًا أَنْ يَظُنَّ أَنَّ النَّقْدَ هُنَا لِقِيَمَةِ عَمَلِ النُّحَاةِ، إِنَّمَا هُوَ لِلْمَنْهَجِ"^(٨٠)، وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ يَقُولُ: "ذَلِكَ تَقْوِيمُ الْمَنْهَجِ النُّحَاةِ لَا لِقِيَمَةِ عَمَلِهِمْ، وَهُوَ طَعْنٌ فِي أُسُولِ الْمَنْهَجِ لَا فِي النُّحَاةِ أَنْفُسِهِمْ، وَأَنَّ النَّاطِرَ فِي النَّحْوِ الْعَرَبِيِّ عَلَى الصُّورَةِ الَّتِي دُونَهُ بِهَا سَبَبِيَّوَيْهِ لِيَجِدَ صَرَحًا عَالِيًا مِنَ الْفِكْرِ يَعْجَبُ الْمَرْءُ أَنْ يَتِمَّ بِنَاؤُهُ فِي جَفْتَةٍ يَسِيرَةٍ مَعَ شِدَّةِ الْحَاجَةِ إِلَى الْأَدَوَاتِ؛ وَأُولَى هَذِهِ الْأَدَوَاتِ الْمَنْهَجُ السَّلِيمُ"^(٨١).

وَيَتَابِعُهُ كَمَالَ بَشَرٍ، بِأَنَّ "إِلْعَمَاءَ الْعَرَبِيَّةِ عُدْرَهُمْ فِي تَرْكِيزِهِمْ عَلَى هَذَا النَّهْجِ . . . بِتَخْلِيصِ الَّلِّغَةِ مِنَ الشُّوَابِّ وَالشُّوَادِ قَصْدًا إِلَى الْمَحَافِظَةِ عَلَيْهَا وَصِيَانَتِهَا مِنَ التَّحْرِيفِ وَاللَّحْنِ"^(٨٢). أَضْفَ إِلَى ذَلِكَ أَنَّ غَايَةَ النُّحَاةِ الْعَرَبِ تَبَرَّرُ وَسِيلَتَهُمْ؛ فَحَرَصَهُمْ عَلَى حِمَايَةِ النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ مِنَ اللَّحْنِ أَلْزَمَهُمْ بِتَحْدِيدِ زَمَانٍ مُعَيَّنٍ وَمَكَانٍ مُحَدَّدٍ، وَدَفَعَهُمْ إِلَى إِخْتِيَارِ الَّلِّغَةِ الْأَدَبِيَّةِ الَّتِي نَزَلَ بِهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ دُونَ لُغَةِ التَّخَاطَبِ الْعَادِيَّةِ لِيَسْتَحْرِجُوا مِنْهَا النَّحْوُ، مُلْتَمِسًا لَهُمْ أَعْدَارًا يُمَكِّنُ تَلْخِيصَهَا فِيمَا يَأْتِي^(٨٣):

١. لِلنَّحَاةِ الْعَرَبِ قَصَبِ السَّبْقِ؛ فَقَدْ كَانُوا طَلَّاعِي فِي الْإِنْدَاعِ، وَعَذْرُ الطَّلْبَعَةِ أَنَّهُ لَمْ يَنْهَيْهَا لَهَا الْإِسْتِنْفَادَةُ مِمَّا سَبَقَ، فَحَسَبَهَا أَنْ أَنْارَتْ الطَّرِيقَ وَمَهَّدَتْهَا دُونَ أَنْ تَكُونَ عَالَةً عَلَى حِكْمَةِ مَوْرُوثَةٍ.

٢. نِسْبَةُ الْقُصُورِ إِلَى النَّحَاةِ لَا تَسْتَقِيمُ عَلَى إِطْلَاقِهَا؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَعْتَمِدُوا النَّصُوصَ الْمُنطَوِقَةَ، بَلْ اسْتَنْبَطُوا قَوَاعِدَهُمْ مِنْ مَادَّةٍ مَكْتُوبَةٍ لَا تُفَرِّقُ سَطُورَهَا بَيْنَ لَهْجَةٍ وَأُخْرَى، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ لَاحِظُوا إِخْتِلَافَ أَشْكَالِ الْفُصْحَى عَلَى أَسِنَّةِ الْقَبَائِلِ مِنَ النَّاحِيَةِ التَّرْكِيبِيَّةِ.

٣. إِنَّ الْمُنْهَجَ الْحَدِيثَ الْمُسَلِّطَ عَلَى عَمَلِهِمْ لَمْ يَكُنْ مَعْرُوفًا آنَذَاكَ، وَعَلَيْهِ لَا يُعْقَلُ لَوْمُهُمْ لِأَنَّهُمْ خَالَفُوا مَقَائِيْسَ وَطُرُقَ مَنَهْجِيَّةٍ لَمْ يَكُنْ لَهَا وُجُودٌ فِي زَمَانِهِمْ.

إِنَّ النَّسْلِيمَ بِمَا سَبَقَ ذَكَرَهُ يُبِيحُ لَنَا أَنْ نَقُولَ: إِنَّ الدُّكْتُورَ تَمَّامَ حَسَّانَ تَرَاوَعَ عَنِ رَأْيِهِ فِي أُنْحَاةِ الْأَخِيرَةِ الَّتِي كَانَتْ أَكْثَرَ عُمُقًا وَتَفْصِيلًا، فَبِعِزَّتِ لِنَحَاةِ الْعَرَبِ جِيَالِ صَنَائِعِهِمْ فِي هَذِهِ الْقَضِيَّةِ: لِطُولِ الْفَارِقِ الزَّمَنِيِّ الَّذِي يَفْصِلُ الْمُحَدِّثِينَ عَنْهُمْ، مِمَّا يُعْطِي الْمُحَدِّثِينَ تَجَارِبَ أَكْثَرَ، وَقَصَبِ السَّبْقِ لَهُمْ، وَاعْتِمَادِهِمْ عَلَى اللُّغَةِ الْمَكْتُوبَةِ الَّتِي لَا تُفَرِّقُ سَطُورَهَا بَيْنَ لَهْجَةٍ وَلَهْجَةٍ أُخْرَى^(٨٤).

وَصَفْوَةُ الْقَوْلِ فِيمَا تَقَدَّمَ أَنَّ عِلْمَ اللُّغَةِ الْحَدِيثِ أَوْ النَّظَرِيَّاتِ اللِّسَانِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ، أَحَدَتْهُ إِتْجَاهًا نَقْدِيًّا فِي الْفِكْرِ اللُّغَوِيِّ الْعَرَبِيِّ الْحَدِيثِ، حَمَلٌ لِيُؤَادِ الْمُدْرَسَةِ الْفَيْرْتِيَّةِ الْعَرَبِ، وَهَذَا النَّقْدُ يَقُومُ عَلَى جُمْلَةٍ مِنَ الْأُصُولِ وَالْمُبَادِئِ لِكُلِّ رَايِدٍ مِنَ الرُّوَادِ انْطَلَقَ مِنْهَا فِي نَقْدِهِ الدَّرْسَ اللُّغَوِيِّ الْعَرَبِيِّ الْقَدِيمِ نُوجِزُهَا فِي الْآتِي:

أَمَّا إِبْرَاهِيمُ أَنْيْسُ قَبْنَى نَقَدَهُ عَلَى جُمْلَةٍ مِنَ الْأَسْسِ مِنْهَا:

١. عَدَمُ الْحَاجَةِ إِلَى مَزِيدٍ مِنَ الْبَحْثِ وَالتَّنْقِيْبِ فِي بُطُونِ الْكُتُبِ الْقَدِيمَةِ عَنِ اللُّهْجَاتِ، بِقَدْرِ الْحَاجَةِ الْيَوْمِ إِلَى دِرَاسَةِ اللُّهْجَاتِ الْعَرَبِيَّةِ الْحَدِيثَةِ^(٨٥).

٢. الْعُمُومُ فِي كَلَامِ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنَ النَّحَاةِ الْعَرَبِ، وَعُسْرُ الدَّارَسِينَ فِي الْفَهْمِ، وَالْإِكْتِفَاءُ بِتَرْجُومَةِ أَقْوَالِهِمْ دُونَ وُقُوفِ حَقِيقِي عَلَى مَعْرَاها وَمَرْمَاهَا.

٣. جُمُودُ النَّظَرِيَّةِ اللُّغَوِيَّةِ بَعْدَ سَيِّبُوَيْهِ، وَجَاءَ صَنِيعٌ مِنْ بَعْدِهِ مِنَ الْعُلَمَاءِ تَرْجُومًا لِكَلَامِهِ دُونَ أَنْ يَزِدُوا عَلَيْهِ مَا يَسْتَحِقُّ الذِّكْرَ^(٨٦).

وَمِنَ الْمَلَاظِحِ فِي نَقْدِ تَمَّامِ حَسَّانَ كَانَ مُبْنِيًّا عَلَى أُسَاسٍ:

١. نَقْدُ الْمُنْهَجِ الْقَدِيمِ، وَتَقْدِيمُ مَنْهَجًا بَدِيلًا مُسْتَمَدًّا مِنَ التَّفَكِيرِ اللُّغَوِيِّ الْحَدِيثِ لَا مِنَ التَّفَكِيرِ الْمُنطَوِقِيِّ وَالْفَلْسَفِيِّ، وَذَلِكَ بِالدَّعْوَةِ إِلَى تَبْيِيهِ الْمُنْهَجِ الْوَصْفِيِّ بَدَلًا مِنَ الْمُنْهَجِ الْمَعْيَارِيِّ فِي دِرَاسَةِ اللُّغَةِ.

٢. إِعَادَةُ قِرَاءَةِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي ضَوْءِ نَظَرِيَّاتِ عِلْمِ اللُّغَةِ الْحَدِيثِ.

٣. عَدَمُ التَّفَرِيقِ وَالتَّمْيِيزِ بَيْنَ الْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ وَالبَحْثِ التَّعْلِيمِيِّ.

٤. التَّفْرِيقُ بَيْنَ الْمُنْطِقِ الطَّبِيعِيِّ وَالْمُنْطِقِ الْأَرِسْطِيِّ.

أَمَّا عَبْدُ الرَّحْمَنِ أَيُّوبُ فَأَنْطَلَقَ فِي نَقْدِهِ مِنْ مَبْدَأٍ أَنَّ التَّفَكِيرَ اللُّغَوِيَّ يَفْتَقِرُ إِلَى أَصُولِ التَّفَكِيرِ الْعِلْمِيِّ الْحَدِيثِ: الْمَوْضُوعِيَّةِ وَالْوَصْفِيَّةِ، وَيُؤَكِّدُ عَلَى أَنَّ اللُّغَوِيِّينَ يَبْجَعِي أَنْ يَكُونُوا وَاصِفِينَ لِلظَّوَاهِرِ اللُّغَوِيَّةِ لَا مُفَلِّسِينَ لَهَا، وَأَنَّ الْمَبَادِي وَالْأَصُولَ الَّتِي بُنِيَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ أَيُّوبُ عَلَى أُسَاسِهَا نَقْدَهُ لِلتَّفَكِيرِ اللُّغَوِيِّ عِنْدَ الْعَرَبِ هِيَ (٨٧):

١. الوصفية مُقَابِلِ المعيارية والتعليل الفلسفي الأرسطي.
٢. إقصاء المعنى أو الدلالة في التحليل اللغوي.
٣. اعتماد الشكل والوظيفة أساساً للتحليل والتصنيف اللغوي.

أَمَّا مَحْمُودُ السَّعْرَانُ فَعَايَنَتْهُ:

١. تقويم الموروث اللغوي العربي.
٢. التعريف بالنشاط اللغوي العلمي الحديث.
٣. رفض التصورات والمذاهب المنطقية والفلسفية.

أَمَّا كَمَالُ بَشْرٍ فَرَكَّزَ فِي نَقْدِهِ عَلَى:

١. عدم التَّكَامُلِ أَوْ فِقْدَانَ وَحْدَةِ الْمُنْهَجِ، لِإِفْتِقَارِ الدَّرْسِ اللُّغَوِيِّ لِنَظَرِيَّةٍ عَامَّةٍ صَالِحَةٍ لِلتَّطْبِيقِ عَلَى كُلِّ جَوَانِبِ الدَّرْسِ فِي اللُّغَةِ (٨٨).
٢. المصطلحات اللغوية ومفهوماتها (٨٩).
٣. الكشف عن جوانب من التفكير اللغوي تختلف وعلم اللغة الحديث.
٤. تنقية البحث اللغوي من الفلسفة اليونانية والمنطق الأرسطي.

وَمِنَ الْمَلَاخِظِ فِي نَقْدِ الْفِيرْتِينِ الْعَرَبِ الرَّوَادِ أَنَّهُمْ يَكَادُ يَنْتَقُونَ فِي جَوَانِبِ عَدِيدَةٍ، كَتَأْتُرِ التَّحْلِيلِ النَّحْوِيِّ بِالْمُنْطِقِ الْأَرِسْطِيِّ وَالْفَلْسَفَةِ الْإِغْرِيْقِيَّةِ، وَطَعْيَانَ الْمَعْيَارِيَّةِ، وَاعْتِمَادِ التَّأْوِيلِ وَالْحَدْسِ وَالتَّخْمِينِ، وَعَدَمِ التَّفْرِيقِ بَيْنَ الْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ وَالبَحْثِ التَّعْلِيمِيِّ، وَلَمْ يَتَخَلَّفْ مِنْهُمْ أَحَدٌ سِوَى كَمَالِ بَشْرٍ بِإِضَافَتِهِ غِيَابَ النَّظَرِيَّةِ اللُّغَوِيَّةِ فِي الدَّرْسِ اللُّغَوِيِّ الْعَرَبِيِّ.

وَنَحْنُ مِنْ جَانِبِنَا نَنْتَفِقُ مَعَ الدُّكْتُورِ جَلْمِيِّ خَلِيلٍ فِي تَعْقِيْبِهِ عَلَى كَلَامِ كَمَالِ بَشْرٍ الْأَخِيرِ بِقَوْلِهِ: "فَلَيْسَ مِنَ الْمَعْقُولِ أَنْ يُقَوْمَ هَذَا الْبِنَاءُ الضَّمْحُ فِي الدَّرْسِ اللُّغَوِيِّ الْعَرَبِيِّ دُونَ نَظَرِيَّةٍ" (٩٠)، وَنُضِيفُ إِذَا كَانَتْ الدِّرَاسَاتُ اللُّغَوِيَّةُ الْقَدِيمَةُ بِهَذَا الْفُصُورِ وَعَدَمِ التَّكَامُلِ فِي النَّظَرِيَّةِ وَالْمُنْهَجِ، فَكَيْفَ تَسْنَى لَهَا أَنْ تُقَدِّمَ لَنَا أَجْلَ الْعُلَمَاءِ مُنْذُ يَوْمِهَا الْأَوَّلِ، مِنْ أَمْثَالِ: الرَّجَاجِ (ت: ٣١١ هـ)، وَابْنِ السَّرَاجِ (ت: ٣١٦ هـ)، وَالسَّيْرَافِيِّ (ت: ٣٦٨ هـ)، وَالرَّمَانِيِّ (ت: ٣٨٤ هـ)، وَابْنِ جَنِّيِّ (ت: ٣٩٢ هـ)، وَالزَّمْخَشَرِيِّ (ت: ٥٣٨ هـ)،

واين يعيش (ت: ٦٤٣ هـ)، واين مالك (ت: ٦٧٢ هـ)، واين هشام الأنصاري (ت: ٧٦١ هـ)، والسبوطي (ت: ٩١١ هـ) وغيرهم كثير إلى يومنا هذا.

ومن ثمّ بمتابعتنا للبحث اللساني اللغوي العربي، منذ إنطلاقته على يد سوسير في مطلع القرن العشرين، شهد تنافض وتعارض بين النظريات إلى حدّ الإلغاء، حتّى صار يعرف تاريخ اللسانيات بتاريخ أخطاء، ولاحظنا تشومسكي نفسه خلال سنوات معدودة عدل على نظريته أكثر من مرّة، وهي النظرية الأكثر كمالاً بين النظريات. فهل يُعقل أن علماء الأجلاء عبّر هذه العصور العديدة لم يُدركوا ما أدركه المحدثون اليوم!

وفيما يخصّ المنهج المعياري، أنّ الدرس اللغوي العربي لم يكن درساً معيارياً خالصاً، وأنّ كثيراً من أسس المنهج الوصفي وأصوله كانت حاضرة في عمل النحاة العرب ولا سيما في المراحل الأولى من نشأة النحو العربي، وقد رأينا كيف صرح بعض الرواد بذلك. ومن ثمّ أنّ الطابع التعليمي الذي ساد أعمال النحويين العرب القدامى بعدما طرأ اللحن وانتهى عصر الاستشهاد، يتحمّ المنهج المعياري "فليس من المعقول أن يقوم المعلم بالاستقراء واستخلاص النتائج وإنشاء القواعد أمام التلاميذ، وإنما المطلوب منه أن يقول لهم هذه هي القاعدة أو المعيار عليكم أن تطبقوا. فالتعليم أساسه المعيار" (٩١).

أمّا ما يخصّ التفسير والتأويل، فقد أثر الاتجاه الشكلي تأثيراً كبيراً في دراسات اللغويين العرب الرواد، وكان التحزب والتحيز واضحاً في أعمالهم للمدرسة الفيثرية التي تتلمذوا فيها، فهذا كمال بشر يُقر بأنّ "شومسكي جعل الاتجاهين الفلسفي المنطقي والتأويلي الافتراضي، يبرزان بوضوح في أعمال المدرسة التوليدية التحويلية التي تُفسّر الظواهر اللغوية على أساس ما يُفترض إحتزانه في الذهن الذي يُمثّل المقدرة اللغوية عند الإنسان" (٩٢)،

وبالرغم من كلّ ما في هذا المنهج من مغريات مملوءة بالافتراضات وفيه علامات الحدس والتخمين، ويقر بأنه يلتقي في كثير من حالاته مع طرائق التحليل عند علماء العربية، إلاّ أنّه رفض تبنيه والأخذ به (٩٣).

الخاتمة ونتائج البحث

لقد خلص البحث في ختامه إلى نتائج عديدة، وهي:

١. أثر الاتجاه الشكلي تأثيراً كبيراً في دراسات اللسانيين العرب الرواد، فقد كان التحزب والتحيز واضحاً في أعمالهم للنظريات اللغوية الغربية.
٢. يكاد يتفق الفيثرانيون العرب الرواد في جوانب نقد النظرية اللغوية العربية، ولم يتخلف منهم أحد سوى كمال بشر بإضافته غياب النظرية اللغوية في الدرس اللغوي العربي.

٣. أثبتت البحث أنه ليس من المعقول أن يقوم هذا البناء اللغوي الضخم في الدرس اللغوي العربي دون نظرية كما زعم كمال بشر.
٤. أن الدرس اللغوي العربي لم يكن درساً معيارياً خالصاً، وأن كثيراً من أسس المنهج الوصفي وأصوله كانت حاضرة في عمل النحاة العرب ولا سيما في المراحل الأولى من نشأة النحو العربي.
٥. شهد الدرس اللساني عموماً تناقض وتعارض بين النظريات إلى حد الإلغاء، حتى صار يعرف تاريخ اللسانيات بتاريخ أخطاء.

الهوامش:

- (١) ينظر: من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس: ١١٨.
- (٢) نشأة الدرس اللساني العربي الحديث دراسة في النشاط اللساني العربي، د. فاطمة الهاشمي بكوش، ايتراك للنشر والتوزيع، مصر، ط١، ٢٠٠٤م: ٦٤.
- (٣) من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس: ١١٩.
- (٤) المصدر نفسه: ١٢٥.
- (٥) ينظر: من أسرار العربية، إبراهيم أنيس: ١٢٧، الأصوات اللغوية، الدكتور إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ٢٠١٧م: ٥.
- (٦) مناهج البحث في اللغة، تمام حسان: ٢٥.
- (٧) المصدر نفسه: ١٦.
- (٨) ينظر: المصدر نفسه: ١٥.
- (٩) اللغة بين المعيارية والوصفية: ١٦٤.
- (١٠) ينظر: مناهج البحث في اللغة، تمام حسان: ١٧-١٨، و في اللسانيات العامة تاريخها، طبيعتها، موضوعها، مفاهيمها، مصطفى غلفان، ط١، ٢٠١٠، دار الكتاب الجديد المتحدة: ١٢٦.
- (١١) مناهج البحث في اللغة، تمام حسان: ١٥.
- (١٢) ينظر: الأصول دراسة إبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب النحو، فقه اللغة، البلاغة، الدكتور تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٠م: ٤٥-٥١، ونشأة النحو العربي، تمام حسان: ٥٦.
- (١٣) ينظر: اجتهادات لغوية، مؤلفات الأستاذ الدكتور تمام حسان، ط١، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٧: ٣٧.
- (١٤) ينظر: علم اللغة العام، محمود السعران: ٣٢٦ والهامش، واتجاهات البحث اللساني في مصر، عبد الرحمن حسن العارف: ٢١٠.
- (١٥) علم اللغة، محمود السعران: ٧٤.
- (١٦) ينظر: المصدر نفسه: ٧٥.
- (١٧) العربية وعلم اللغة البنيوي دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث، حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، مصر ١٩٩٥م: ١٦٨.
- (١٨) ينظر: التفكير اللغوي عند العرب مصادره ومرآته، عبد الرحمن أيوب: ١٢١.
- (١٩) ينظر: المصدر نفسه: ١٢١.
- (٢٠) ينظر: دراسات نقدية في النحو العربي، عبد الرحمن أيوب: ٨.
- (٢١) ينظر: المصدر نفسه: ٩-١٠.

- (٢٢) شرح المفصل للزمخشري، يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسيدي الموصللي، المعروف بابن يعيش ويا بن الصانع (ت: ٦٤٣هـ)، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب: ٨١/١.
- (٢٣) دراسات نقدية في النحو العربي، عبد الرحمن أيوب: ١٠.
- (٢٤) ينظر: النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج، الدكتور عبده الراجحي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٩م: ٩٤.
- (٢٥) المصدر نفسه: ١٢٨.
- (٢٦) دراسات في نقد النحو العربي، عبد الرحمن أيوب: ١٢٨.
- (٢٧) ينظر: العربية وعلم اللغة البنيوي، حلمي خليل: ١٧٧، النحو العربي والدرس الحديث، عبده الراجحي: ١٠٠-١٠٤.
- (٢٨) ينظر: مقالات في اللغة والأدب، تمام حسان: ٢٧٦.
- (٢٩) ينظر: التفكير اللغوي بين القديم والحديث، كمال بشر: ٣١٧-٣١٨.
- (٣٠) المصدر نفسه: ٣١٧.
- (٣١) ينظر: النحو العربي والدرس الحديث، عبد الراجحي: ١٠٣-١٠٥.
- (٣٢) ينظر: أصول النحو العربي: ٦١.
- (٣٣) ينظر: في اللسانيات العامة، مصطفى غلفان: ١٣٧.
- (٣٤) التفكير اللغوي بين القديم والجديد، كمال بشر: ٣١٨.
- (٣٥) ينظر: المصدر نفسه: ٢٢١.
- (٣٦) ينظر: المنهج الوصفي في كتاب سيوييه، الدكتور نوزاد حسن أحمد، ط١، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ١٩٩٦م: ٣٠-٣١، ومنهج البحث اللغوي، علي زوين: ٢٣، والنحو العربي والدرس الحديث، عبده الراجحي: ٤٦-٤٧.
- (٣٧) ينظر: المنهج الوصفي في كتاب سيوييه، الدكتور نوزاد حسن أحمد، ط١، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ١٩٩٦م: ٣٠-٣١، ومنهج البحث اللغوي، علي زوين: ٢٣، والنحو العربي والدرس الحديث، عبده الراجحي: ٤٦-٤٧.
- (٣٨) ينظر: المصدر نفسه: ٣٧.
- (٣٩) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، مؤلفات الدكتور تمام حسان، ط٦، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٩: ١٣، وألفية ابن مالك، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجبائي، أبو عبد الله، جمال الدين (ت: ٦٧٢هـ): ٢٧.
- (٤٠) وصف ابن سلام الجمحي (ت: ٥٢٣٢هـ)، عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي بأنه أول من يعج النحو ومد القياس وشرح العلل، ينظر: علم اللغة العربية، محمود فهمي حجازي: ٨٤، وشرح الكافية الشافية، جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجبائي: ١٤٩٢/٢.
- (٤١) ينظر: ديوان النابغة الذبياني، شرح وتقديم عباس عبد الستار، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٦م: ٥.
- (٤٢) ينظر: شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الأشموني الشافعي (ت: ٩٠٠هـ)، ط١، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ١٩٩٨م: ٣١٧/٢-٣١٨.
- (٤٣) اللغة بين المعيارية والوصفية: ١٢.
- (٤٤) التفكير اللغوي، كمال بشر: ٣١٨.
- (٤٥) مقالات في اللغة والأدب، تمام حسان: ٢٧٣.
- (٤٦) المصدر نفسه: ٢٧٣.
- (٤٧) ينظر: التفكير اللغوي بين القديم والجديد، كمال بشر: ٢٠.
- (٤٨) المصدر نفسه: ٢١.

- (٤٩) علم اللغة، محمود السعران: ٥١.
- (٥٠) دراسات نقدية في النحو العربي، عبد الرحمن أيوب: كلمة المؤلف: د.
- (٥١) ينظر: التفكير اللغوي بين القديم والحديث، كمال بشر: ٤٦٠.
- (٥٢) اللغة بين المعيارية والوصفية: ٢٣.
- (٥٣) اللغة العربية معناها ومناها: ٢٨.
- (٥٤) ينظر: المصدر نفسه: ٢٢، واللغة بين العيارية والوصفية: ٢٢، واللسانيات البنوية، مصطفى غلفان: ١٠١.
- (٥٥) العربية وعلم اللغة البنوي: ٢١٨.
- (٥٦) المنوال النحوي العربي قراءة لسانية جديدة، الدكتور عز الدين مجدوب، ط١، دار محمد علي الحامي للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٨م: ٤٧.
- (٥٧) ينظر: المصدر نفسه: ٣٢، والأصول، تمام حسان: ٨٩.
- (٥٨) التفكير اللغوي، كمال بشر: ٣٢١.
- (٥٩) ينظر: دراسات في علم اللغة: ٦٣، والمدخل إلى دراسة النحو العربي: ٩٢-٩٣.
- (٦٠) ينظر: اللغة بين المعيارية والوصفية: ٢٢.
- (٦١) المصدر نفسه: ٢٤.
- (٦٢) ينظر: الأصول، تمام حسان: ١٠٢.
- (٦٣) نحو عربية مسرة: أنيس فريحة، دار الثقافة، بيروت: ٦٠.
- (٦٤) أسس علم اللغة، ماريوباي، ترجمة: أحمد مختار عمر: ٦٠.
- (٦٥) اتجاهات البحث اللساني، ميلكا إفيتش: ٢٢.
- (٦٦) المنهج الوصفي في كتاب سيويو: ٥١.
- (٦٧) ينظر: اللغة بين المعيارية والوصفية: ٣٢.
- (٦٨) المنهج الوصفي في كتاب سيويو: ٥٢.
- (٦٩) ينظر: اللغة بين المعيارية والوصفية: ٣٢، والتفكير اللغوي بين القديم والحديث: ٤٨٤.
- (٧٠) المصدر نفسه: ٢٨.
- (٧١) في اللهجات العربية، الدكتور إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٢م: ٩.
- (٧٢) المصدر نفسه: ٧.
- (٧٣) ينظر: التفكير اللغوي بين القديم والجديد، كمال بشر: ٥٩.
- (٧٤) ينظر: المصدر نفسه: ٢٨٥، والأصول، تمام حسان: ٩١.
- (٧٥) ينظر: الأصول، تمام حسان: ٩١.
- (٧٦) المصدر نفسه: ٩١.
- (٧٧) ينظر: التفكير اللغوي بين القديم والجديد، كمال بشر: ٢٧٦.
- (٧٨) المصدر نفسه: ٢٧٦.
- (٧٩) ينظر: المصدر نفسه: ٢٨٥-٢٨٦.
- (٨٠) اجتهادات لغوية، تمام حسان: ٣٩.
- (٨١) المصدر نفسه: ٤٤.
- (٨٢) التفكير اللغوي، كمال بشر: ٣١٩.
- (٨٣) ينظر: الأصول: ٩٧.
- (٨٤) ينظر: الأصول: ١٠٣.
- (٨٥) ينظر: في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس: ٥.
- (٨٦) ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس: ١٠٢.
- (٨٧) ينظر: العربية وعلم اللغة البنوي، حلمي خليل: ١٦٩.

(٨٨) ينظر: التفكير اللغوي بين القديم والجديد، كمال بشر: ٣١٤.

(٨٩) ينظر: العربية وعلم اللغة البنيوي، حلمي خليل: ١٩٣.

(٩٠) المصدر نفسه: ١٩٧.

(٩١) مقالات في اللغة والأدب، تمام حسان: ٢٧٣.

(٩٢) التفكير اللغوي، كمال بشر: ٣١٨.

(٩٣) ينظر: المصدر نفسه: ٣١٨.

قائمة المصادر والمراجع

١. من أسرار اللغة، الدكتور إبراهيم أنيس، ط٣، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٦.
٢. اللغة بين المعيارية والوصفية، مؤلفات الأستاذ الدكتور تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٠.
٣. مناهج البحث في اللغة، الدكتور تمام حسان، دار الثقافة، مكتب النسر للطباعة، مصر، ١٩٨٩.
٤. دراسات نقدية في النحو العربي، الدكتور عبد الرحمن أيوب، مؤسسة الصباح، الكويت.
٥. علم اللغة العام مقدمة للقارئ العربي، الدكتور محمود السعران، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.
٦. التفكير اللغوي بين القديم والجديد، دكتور كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٥.
٧. علم اللغة الاجتماعي مدخل، دكتور كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
٨. نشأة درس اللساني العربي الحديث دراسة في النشاط اللساني العربي، د. فاطمة الهاشمي بكوش، اينترناك للنشر والتوزيع، مصر، ط١، ٢٠٠٤م.
٩. الأصوات اللغوية، الدكتور إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ٢٠١٧م.
١٠. في اللسانيات العامة تاريخها، طبيعتها، موضوعها، مفاهيمها، مصطفى غلفان، ط١، ٢٠١٠، دار الكتاب الجديد المتحدة.
١١. الأصول دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب النحو، فقه اللغة، البلاغة، الدكتور تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٠م.
١٢. نشأة النحو العربي، تمام حسان، مجلة الأزهر، القاهرة، مصر، الجزء الأول، المجلد ٣٢، ١٩٦٠م.
١٣. اجتهادات لغوية، مؤلفات الأستاذ الدكتور تمام حسان، ط١، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٧.
١٤. اتجاهات البحث اللساني، ميكا إفيثش، ترجمة سعد عبد العزيز مصلوح ووفاء كامل فايد، ط١، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٠م، ١٩٥-١٩٦.
١٥. اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر (١٩٣٢ - ١٩٨٥)، أ.د. عبد الرحمن حسن العارف، ط١، دار الكتب الجديدة المتحدة - مصر، ٢٠١٣.
١٦. العربية وعلم اللغة البنيوي دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث، حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، مصر، ١٩٩٥م.
١٧. شرح المفصل للزمخشري، يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش ويا بن الصانع (ت: ٦٤٣هـ)، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠١م.
١٨. النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج، الدكتور عبده الراجحي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٩م.
١٩. مقالات في اللغة والأدب، تمام حسان.
٢٠. المنهج الوصفي في كتاب سيبويه، الدكتور نوزاد حسن أحمد، ط١، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ١٩٩٦م.

٢١. منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، علي زوين، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٨٦م.
٢٢. اللغة العربية معناها ومبناها، مؤلفات الدكتور تمام حسان، ط٦، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٩.
٢٣. ألفية ابن مالك، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجبائي، أبو عبد الله، جمال الدين (ت): ٦٧٢هـ)، دار التعاون.
٢٤. شرح الكافية الشافية، جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجبائي، ط١، حققه وقدم له: عبد المنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية مكة المكرمة، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.
٢٥. علم اللغة العربية، الدكتور محمود فهمي حجازي، ط١، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.
٢٦. ديوان النابغة الذبياني، شرح وتقديم عباس عبد الستار، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٦م.
٢٧. شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الأشموني الشافعي (ت: ٩٠٠هـ)، ط١، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ١٩٩٨م.
٢٨. اللسانيات البنيوية، منهجيات واتجاهات، الدكتور مصطفى غلفان، ط١، دار الكتب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ٢٠١٣م.
٢٩. المنوال النحوي العربي قراءة لسانية جديدة، الدكتور عز الدين مجدوب، ط١، دار محمد علي الحامي للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٨م.
٣٠. المدخل إلى دراسة النحو العربي، علي محمد أبو المكارم، ط١، دار الثقافة العربية، ١٩٨٢م.
٣١. في اللهجات العربية، الدكتور إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٢م.